يا لَيت قومي يَعلمون

«يُحزنني جداً أن أُهمل..

أن يغتالَ الظنُّ كياني المثقل..

أن تُسجنَ كلُّ الأسئلةِ بداخل قلبي..

من يهربُ منها ــ عبر لساني ــ يُقتل..

يحزنني جداً.. جداً.. أن أُهمل...»[1].

في عصرٍ من عصور الظلام دارت هذه القصة...

ظلامٌ دامس لا أرى غيره... فتحت عيني في ألم وبطء ــ طالعني وجه مئات الناس الواقفين الناظرين إليَّ وأنا مصلوب في جذع النخلة والدماء تسيل من جميع أعضاء جسدي الواهن.

بعضهم نظر إليَّ في إشفاق والآخر نظر إليَّ في شماتة وإن كنت لا أعرفه... ولكن الجميع اشترك في شيء واحد وهو السكوت ــ لم ينطقوا ببنت شفة ــ وسكت الجميع ليستمعوا إلى حكم القاضي فيَّ ــ تقدم القاضي في بطء ثم نظر إلى الناس

---

(1) من أشعار الشاعر: خالد صابر.

obeikandl.com

وأشار إليهم في حركة مسرحية ثم نظر إليَّ بتهكم ـ واستعد لينطق بالحكم، أغمضت عيني مرة أخرى، ورجع عقلي إلى الوراء يسترجع أحداثاً أليمة قد مضت...

لم أقل لهم إلا ما أؤمن به ـ ضربوني ـ عذبوني ـ لم يحاولوا أن يفهموا ـ لم يحاولوا أن يفكروا ـ قالوا لي: أنت مرتد ـ قالوا لي: أنت كافر.. قلت لهم: إن الكافر هو الساتر ـ فكل مستور ذو وجود ـ فإن سترته أثبته فلا مستور إلا كائن ـ لم يفهموا ـ قلت لهم: إن غطاء الكرة هو كفر..

قالوا لي: إذاً الهجمة مرتدة!!

قالوا لي: أنت تقول: إن الله غير موجود.. قلت لهم: نعم، أنا أقول: إن الله ليس موجوداً ـ حاولت أن أشرح لهم ـ حاولت أن أؤكد لهم أن الله غير موجود ـ ولكن هيهات ـ كفروني ـ وكفروا شجرة العائلة كلها.

قلت لهم: ألا تستمعون إليَّ؟ أليس منكم رجل رشيد؟ قالوا: ماذا نسمع بعد أن نطقت بالكفر البواح ـ لقد خالفت معلوماً من الدين بالضرورة ولذا فأنت مرتد.

قلت لهم: إنني أؤمن بالله ـ قالوا لي: أنت منافق ـ قلت لهم: وهل كشفتم عن قلبي؟ تولوا عني معرضين ـ قالوا لي:

أمامك ثلاثة أيام لتتب قبل أن نقيم فيك شرع الله.. قلت لهم: أي إله هذا الذي يرضى بهذا الظلم؟!

تركوني وحيداً.. لا أحد أناجيه، ولا أحد أدعوه.. إلا إياه.. الله.

غير الموجود.. تركوني وحدي.. في سجني وحدي.. في عزلتي وحدي، في تأملي وحدي في معراجي وحدي.. وكلنا موتى إلا إياه.. وكلنا ضعفى إلاه.. كم رحم مِن ضال وساه.. كم وجد مجرماً فهداه.. كم ذُكر بلسان وفاه.. كم سجد لعزه متكبرٌ ذو جاه.. كلنا موتى إلا إياه..

استيقظت في السحر.. توضأت.. ثم ذبت في واحة الرضوان.. وعرجت روحي إلى سماء الجنان.. هناك.. حيث لا إنسٌ ولا جان إلا ملكٌ عالٍ أو مخلوق دانٍ.. هناك حيث لا شيء فان.. وحيث عرش الدنيا هان.. ذُبت في صلاتي ذوبان.. وعرجت روحي في نعيم ما بعده نعمان.. عرجت روحي إلى علّيين حتى أتاني اليقين.. ففي تلك اللحظة.. سمعت طرقاً عنيفاً على الباب.. فقد جاؤوا ليأخذونني إلى المحكمة.

وفي وسط المحكمة وقفت ـ وحدي ـ وسط القضاة والفلاسفة.. وسط العامة ورجال الدين.. وسط العلماء

والأساتذة.. وسط المثقفين والجهلاء.. وقفت وحدي أدافع عن حرية التعبير.. والدعوة إلى التفكير.. والبعد عن التكفير.. لعل ذلك يحدث ما أبغيه من تغيير..

بدأت المرافعة.. وهي في حقيقتها منازلة ومناقصة.. مناقصة عن الحرية وعن الحق.. بل عن الإيمان.

أعلن القاضي بدء المحاكمة وطالب الجميع بالتزام الصمت.. ساد القاعة سكونٌ مهيب.. أخذ الحاضرون ينقلون أبصارهم بيني وبين القضاة.. ساد الصمت إلى أن قطعه القاضي موجهاً كلامه لي:

أنت تدّعي أن الله ليس موجوداً والتهمة الموجهة إليك هي الكفر والارتداد فما قولك فيما ينسب إليك؟!

انتقلت أنظار جميع مَن في القاعة إليّ منتظرين ردّي.. سكتُّ لبرهة ثم قلت في اعتداد: نعم، لقد قلت ذلك.

علت أصوات الهمهمة والأحاديث الجانبية في القاعة وارتفعت صيحات الاستنكار والنفور.. طرق القاضي بمطرقته بقوة عدة مرات وانتظر حتى ساد السكون القاعة مرة أخرى ووجه سؤاله لي مرة أخرى قائلاً: هل تقصد ما تقول.. وهل تعلم مصير المرتد؟ ثم مال علي وقال لي بخفوت: قل إن الله موجود أضمن لك الحياة.

قلت بسرعة: بالطبع أقصد ما أقول فأنا أؤمن به تماماً.. وأعلم أن مصيري سيكون الإعدام إن لم أغيِّر أقوالي أو إن لم تفهموا ما أقصد.. ثم من أنت لتضمن لي الحياة؟ ثم أي حياة تلك التي تضمنها لي؟ بئس الحياة وسط الضعفاء.. بئس الحياة بدون حرية رأي أو اعتقاد.. بل بئس الدين.. دين التقليد والاعتياد.. ونعم الموت موت الشجاعة والاعتداد.

قال القاضي بتهكم: هل فرغت من خطبتك؟! أنا أسألك الآن لآخر مرة: هل تغير أقوالك؟

ـ هل لي أن أشرح وجهة نظري؟

ـ لا نستطيع إعطاءك فرصة لشرح وجهة نظرك مهما كانت فإن كلامك واضح تمام الوضوح لا يتحمل إلا معنى الكفر ـ ولآخر مرة أسألك: هل تغير أقوالك؟

دارت الرؤوس جميعها من القاضي إليَّ كأنهم يشاهدون مباراة لكرة المضرب، وتركزت أبصارهم عليّ منتظرين ردي.. أدرت بصري في وجوههم العابثة.. فوجدت منهم من نظر إليَّ بشماتة ومنهم من نظر إليَّ بأمل عساني أن أغير قولي.. ومنهم من نظر إليَّ بدهشة.. شخص واحد كانت ملامحه مختلفة.. نظر إليَّ بامتنان.. كانت كل عضلة في وجهه تنطق بالرضا.. كأن كل خلجة تقول لي: الثبات.. الثبات..

نظرتُ إليه في حيرة وركزت على وجهه من بين وجوه الحاضرين وقد أسفرت شفتيه عن شبه ابتسامة.. قاطع أفكاري صوت القاضي كأنني أسمع السؤال لأول مرة ثم قلت في بطء وعزة: لا، لن أفعل. ارتطمت مطرقة القاضي بقوة ثم أعلن في شماتة: حكمت المحكمة وبحضور المتهم وبعد الاطلاع على...

قاطعته بسرعة وقلت في مرارة: بعد الاطلاع على ماذا؟! ثم أردفت بسخرية: بعد الاطلاع على قلب المتهم والكشف على ملف نواياه؟

وساد الصخب في القاعة وسط الصياح والسباب وطرق القاضي بمطرقته عدة مرات إلى أن ساد الصمت مرة أخرى، تابع القاضي قوله:... وبعد الاطلاع على قول المتهم والكشف على ملف أفعاله.. وبعد الاستماع إلى الشهود.. قاطعته مرة أخرى: أية شهود هؤلاء الذين استمعتم إليهم؟! وشهود على ماذا بالله عليكم؟!.. أنا لا أرى شاهداً في هذه القاعة إلا أنا!

ساد الهرج مرة أخرى وسط صوت مطرقة القاضي إلى أن قال القاضي في حدة: أنا أحذرك أن تتفوه بكلمة أخرى دون إعطائك إذناً بذلك هل تفهمني؟!

قلت له بتحدٍ: يبدو أنك أنت الذي لا تفهمني. تحذّر مَن؟! وماذا ستفعل أيها القاضي العادل أكثر من نطقك لحكمك الظالم هه؟! ــ ماذا ستفعل؟! ــ ماذا ستفعل أكثر من إعدامي؟!

لمحت بطرف عيني الرجل الممتن وسط الحاضرين وهو ينظر إليّ في اعتداد وكأنه يحثني على الاستمرار ــ فأردفت في كبرياء: ماذا ستفعل في زمان يُتهم المرءُ فيه بالكفر وهو مؤمن؟ ماذا ستفعل في زمان ساد فيه الجهل وشاع؟! خَسِئت أيها القاضي العادل!! خَسِئت يا قاتل الحرية في مهدها.. ويا قاتل الإيمان...

ساد الصخب مرة أخرى في القاعة إلى أن قال القاضي وهو يصرخ: خذوه! لقد حكمت عليه بالإعدام رجماً.. خذوه ولينفذ الحكم في مكان عام ليكون عبرةً لمن بعده خلفاً لمن قبله. أخذني بعض رجالات الأمن في خشونة وساقوني إلى قدري المحتوم.. لم أشأ أن أكلم أحداً.. فما هي إلا لُحَيظات ويقومون بإعدامي.. وما هو إلا مولدي.. لُحيظات وتصعد روحي إليه.. إلهي ما أجمله شعور.. وما أروعه إحساس.. لحيظات وألقى الحبيب.. حيث لا عويل ولا نحيب.. لا غريب ولا رفيق.. حيث لا غل ولا ضيق.. لحيظات وأهيم في سماء القدسية.. لحيظات وأطوف في رحاب الأبدية.. شعور لا تصفه كلمات.. ولا يخطه قلمٌ ولا ذات..

لا أصدق نفسي! لُحَيظات وألقى الرحمٰن.. لُحيظات وألقى الله.. غير الموجود! لحيظات وألقى ذا القوة والجبروت.. الحي الذي لا يموت.. الذي تسبح له الملائكة في الملكوت.. رازق النملة الماء والقوت، من يعظم آلائه كل ناطقٍ وسكوت... واهب الطير بطاناً من إلٰه غيره أوانا، أطعمنا وسقانا وكسانا. إن أحسنّا جزانا وإن أخطأنا هدانا... هو من في أرحام أمهاتنا سوّانا، لطيفٌ بعباده زماناً ومكاناً...

أوقفوني على نصب مرتفع عن الأرض وألبسوني لثاماً يغطي الوجه كله إلا فتحتي أنفي وعيني... وقفت مصلوباً على جذع نخلة...

جاءني أحدهم واقترب مني، ثم سألني بصوت عالٍ يسمعه كل من حولي: لآخر مرة أسألك: هل تريد أن تتراجع عن قولك الهادم وتشهد أن الله موجود؟

توقعت أن يسود الصمت المكان.. ولكن ذلك لم يحدث.. فقد تعالت صيحات الناس بين مؤيد ومعارض.. وبين متحمس وشامت.. قلت بصوت مرتفع في عزة: كلا أشهد أن الله غير موجود.. تعالت الصيحات مرة أخرى وتقدم نحوي الرجل.. وأغمض عيني بأنامله.. ثم قال لي بصوت خفيض: لك طلبٌ واحد قبل إعدامك فما هو؟! فتحت عيني في بطء، نظرت إليه ثم

نظرت إلى السماء من فوقي ومن فوقه وقلت في إيمان: أريد أن أصلي ركعتين للهِ الواحد القهار.

تعالت صيحات الاستنكار وسط الحاضرين.. وقال لي الرجل بعدما نظر إلى رؤسائه: لك هذا.. فك الرجل أَسْري في عجالة.. ودخلت أنا مرة أخرى في ساحة الرضوان.. وذبت لآخر مرة في رحاب القدسية.. وعرجت روحي إلى سماء الجنان.. هناك حيث لا إنس ولا جان.. إلا ملك عالٍ أو مخلوق دان.. هناك حيث لا شيء فان.. وحيث عرش الدنيا هان.. ذبت في صلاتي ذوبان.. وعرجت روحي في نعيم ما بعده نعمان...

ما إنْ فرغت من صلاتي حتى ساقوني مرة أخرى إلى جذع النخلة ووضعوني في وضع المصلوب وبدأت رحلة العذاب الأليم ــ فقد بدؤوا في رجمي دون رحمة أو شفقة. في البداية أحسست بالألم الشديد ــ وللحظة فكرت أن أغير قولي، ولكنني استعذت من الشيطان وتحاملت على نفسي ــ نظرت إلى الناس وسط الحجارة فرأيتهم يرمونها بكل ما أوتوا من قوة عليّ: العلماء، الجهلاء، الشيوخ، الأطفال، النساء، ازداد ألمي وازداد، وفجأة لم أعد أحس بالألم على الإطلاق، ما زلت حياً ولكن الألم زال بفضل من قال: يا نار كوني برداً وسلاماً...

ما هي إلا لحظات قليلة وألاقي ربي ـ بعد طول فراق ـ لحظات قليلة ويكشف عني غطائي وبصري يومئذ حديد.. لحظات قليلة وألاقي من لا تدركه الشواهد.. ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر.. ولا تحجبه السواتر.. الدال على قدمه بحدوث خلقه.. وبحدوث خلقه على وجوده! الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده.. واحداً لا بعدد.. دائماً لا بأمد.. وقائماً لا بعمد...

يظنون أنني لا أؤمن بالله؟ سبحان الله! ألم ينظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها.. لا تكاد تنل بلحظ البصر.. ولا بمستدرك الفكر.. كيف دبّت على أرضها وصبت على رزقها.. تنقل الحبة إلى جحرها وتعدها في مستقرها.. تجمع في حرها لبردها وفي ورودها لصدرها.. مكفولة برزقها.. مرزوقة.. لا يغفلها الحَنان.. ولا يحرمها المنان...

يظنون أنني لا أؤمن بالله؟ ـ سبحان الله! ـ لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون... ولا يؤدي حقه المجتهدون.. ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود...

يظنون أنني لا أؤمن بالله ـ سبحان الله! ـ ساطح المهاد.. مسيل الوهاد.. مخصب النجاد.. ليس لأوليته ابتداء.. ولا لأزليته انقضاء.. هو الأول لم يزل.. والباقي بلا أجل...

وفي غمرة ذوباني في رحاب القدسية وسماء الأبدية.. وفي غمرة ذوباني مع كلام من كرم الله وجهه.. وثبت قوله وأتقن علمه وعمله.. بدأت قوتي تتهاون.. وأحسست أن الأجل قد جاء.. وفارت دمائي و...

وفجأة.. تعالى صوت عميق من بين الحاضرين: مهلاً أيها السادة.. مهلاً!... التفت الجميع إلى مصدر الصوت فوجدوا الرجل الممتن يقف شامخاً ويتقدم نحونا في قوة وهو يقول: لِمَ تقتلون ذلك الرجل؟! رد عليه أحد القضاة في غطرسة قائلاً: إنه لا يؤمن بالله العظيم...

رد عليه الرجل بهدوء: كيف لا يؤمن بالله العظيم وآخر مطالبه قبل الإعدام الصلاة؟! ـ سكت القاضي لبرهة ليفكر ثم قال فجأة: إنه يستهزأ بنا حتماً وذلك أدعى لأن نقيم فيه شرع الله على الفور...

رد عليه الرجل وهو يتقدم بهدوء: وهل كشفتم عن نواياه لتجزموا أنه يستهزأ بكم؟!

قال له القاضي بنبرة يكسوها التحدي: لسنا في حاجة للكشف عن نواياه كما تقول... فالرجل قد نطق بالكفر البواح من قبل ـ لذا فإن مطلبه هذا ليس إلا إطالة للوقت أو سخرية من القضاة...

تعالت الصيحات والهتافات المطالبة بتنفيذ الحكم على الفور. فابتسم القاضي في ظفر ونظر نظرة شامتة إلى الرجل الممتن الذي جاء من أقصى المدينة وقال له: أرأيت؟!

ـ رأيت ماذا أيها القاضي؟! لا أرى إلا ظلماً وعدواناً أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!

ـ ولكنه لم يقل بل بالعكس لقد...

قاطعه الرجل بسرعة: بل قال أيها القاضي، ثم تابع بسرعة: كل ما أطلبه منك أيها القاضي العادل شيئاً واحداً فقط، فهلا سمحتم لي؟...

فكر القاضي قليلاً ونظر إلى الجماهير الغفيرة ثم قال: لا يوجد ما نخشاه. قل ما بدا لك...

قال له الرجل الممتن وقد بدا عليه الارتياح: أريد منك أن تسأله نفس السؤال بصيغة أخرى فمثلاً اسأله: هل تؤمن بالله؟ أو اسأله أتشهد أن لا إله إلا الله، وأعدك أن الإجابة ستدهشك تماماً...

علا صوت الجماهير بالهمهمة والاستنكار وبعدم الفهم ـ فأطرق القاضي يفكر قليلاً ثم قال: أنا لا أدري ما الذي ترمي إليه أيها الرجل ولكن المتهم لم ينكر أنه قال: إن الله غير موجود

وهذا يكفيني كقاضي أن أحكم عليه بالكفر ـ أما أن أسأله نفس السؤال مرة أخرى بصيغة مختلفة فلن يكون ذلك إلا مضيعة للوقت نحن في غنى عنها ثم إن. . .

قاطعه الرجل قائلاً: لكن ما أحاول إفهامه لكم أن تلك الأسئلة ليست نفس السؤال بصيغة أخرى بل قد تكون عكسه تماماً، قال القاضي وقد بدا صبره ينفذ: انظر يا رجل لا نريد أن نبطئ العدالة نحن. . .

قاطعه الرجل بصوت هادئ عميق: إبطاء العدالة أفضل من تعجيل الظلم!!

سمعت بوهن القاضي يقول: أيُّ ظلم هذا الذي تتحدث عنه وقد نطق المتهم بالكفر و. . .

كاد القاضي أن ينطق بشيء فتردد قليلاً ثم التفت إليّ وسألني بحذر: ألم تقل أن الله ليس موجوداً؟!

نظرت إليه في وهن وقلت بصوت حاولت أن أصبغه بتحد: بلى لقد قلت. . .

وهل أنت متمسك برأيك هذا؟. . .

ـ تمام التمسك أيها القاضي ـ أكرر لآخر مرة: الله ليس

موجوداً ـ ليس موجوداً على الإطلاق ـ ثم أردفت بصوت خفيض لم يسمعه القاضي: فهو الواجد... !

نظر القاضي بظفر إلى الرجل وقال له: أرأيت؟! ألم أقل لك؟! لقد نطق أمامك بالكفر البواح...

رد عليه الرجل بهدوء غريب: لا لم يفعل! بل بالعكس، إن كل ما نطق به يدل على إيمان واع وعقيدة قوية...

ـ هل تسخر مني أيها الرجل؟!

ـ لا أنا لا أسخر من أحد ـ ولكنني أقول الحقيقة...

رد عليه القاضي بعصبية وقد فقد السيطرة على أعصابه تماماً: الحقيقة؟! أي حقيقة أيها الرجل؟! ثم أردف في خبث: هل أفهم من كلامك هذا أنك توافقه على ما يقول؟!

سكت الرجل الممتن قليلاً ثم قال: أنا أوافقه على ما يقول ولكني...

قاطعه القاضي هذه المرة وقد التمعت عيناه كالنمر الذي أوقع بفريسته: ماذا؟! ماذا تقول؟! هل سمعتم أيها الناس؟! إذاً فأنت أيضاً لا تؤمن بالله العظيم؟ إنها الفتنة أيها الناس..

رد عليه الرجل بثقة: بل أؤمن بالله العظيم...

رد عليه القاضي بشك: ولكنك قلت الآن أنك توافقه فيما

يقول و. . . قاطعه الرجل وعلى شفتيه شبه ابتسامة لم يلحظها القاضي: نعم أوافقه تماماً. . سكت قليلاً ثم نظر في وجه القاضي مباشرة وقال في شمم: أنا أيضاً أؤمن أن الله غير موجود!! تعالت أصوات الجماهير المستنكرة وصاح بعضهم بالسباب وتراشقت اللعنات بين الشفاه. . في حين سكت البعض الآخر لا يفهم ما يحدث أمامه. . .

ما هي إلا لحظات قليلة وكان الرجل الممتن مربوطاً هو بدوره إلى جذع النخلة بجانبي، فتحت عيني في ألم وبطء. . طالعني وجه مئات الناس الواقفين الناظرين إليّ وأنا مصلوب والدماء تسيل ودياناً من جميع أعضاء جسدي. . ورويداً رويداً. . لم أعد أحس بألم الحجارة الملقاة عليّ. . وشيئاً فشيئاً انخفض صوت الناس. . وانخفض وانخفض وزال الألم تماماً.

فتحت عيني في تردد وبطء وهالني تماماً ما رأيت!! لحظات عجيبة هذه التي عشتها. . وأشياء أعجب رأيتها. . ما رأيته عندما فتحت عيني شيئاً لا يوصف شيئاً تعجز الكلمات عن وصفه ــ وشعور يعجز القلم عن كتابته ــ وهأنذا في تلك اللحيظات التي تفصل بين العالمين ــ إنني الآن في برزخ إلى يوم يُبعثون ــ لقد انتقلت إلى جوار ربي ــ غير الموجود ــ ولكن ما أراه شيء لا يصدقه عقل!! وفجأة! رأيته. . نعم إنه ذلك الرجل الذي آمن

بقضيتي.. ها هو يقترب مني.. واقترب واقترب.. ثم فتح يديه وضمني إليه بقوة.. فقلت له ممتناً: شكراً لك...

قال لي بود: لم أفعل إلا ما يمليه عليّ ضميري.. ولكن أتعرف؟!...

قلت له متسائلاً: ماذا؟!..

قال لي بأسى: لقد أخطأنا..

قلت له بتعجب: أخطأنا؟ كيف؟! إن الله ليس موجوداً بالفعل و...

قاطعني قائلاً: لا.. لا أقصد ذلك.. وإنما أقصد أخطأنا في الطريقة التي عبرنا فيها عن رأينا أمام الناس...

قلت له بعناد: كلا هم المخطئون.. فهم لا يسمعون لأحد.. ذوو عقول متحجرة.. وإيمان خاوٍ من عقيدة سليمة...

قال لي: نعم، ولذلك فقد كان يتحتم علينا أن نستخدم أسلوباً آخر في التعبير عن رأينا.. أسلوباً يمكّننا من توصيل ما نريد توصيله إلى العوام دون إلقاء أنفسنا في التهلكة...

نظرت إليه في تساؤل ثم قلت له: هل أنت نادم؟!...

قال لي بدهشة صادقة: كيف أندم وأنا بجوار ربي؟!! كنت

فقط أريد الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله.. ثم استطرد قائلاً: حقيقة أنا متعجب من هؤلاء الناس.. كيف تكون الحقيقة أمامهم هكذا ولا يرونها؟ كيف يتهموننا بالكفر وكل أعمالنا توحي بعكس ذلك؟! كيف يقولون على الله ﷻ إنه موجود وهو الأول قبل أن يوجد أحد؟! كيف؟! كيف؟!...

ولكنهم يرددون إن الله موجود، لأنهم لا يفهمون المعنى الحقيقي لكلمة: «موجود»: أومأ برأسه موافقاً ثم قال: نعم.. وتلك هي الآفة الكبرى يا أخي.. عدم الفهم والتقليد...

وافقته قائلاً: فمثلاً بادعاء أن الله موجود لغةً معناه: أنه أوجده أحدٌ، حاشا لله..

وافقني وهو يبتسم بتحسُّر: نعم كأنه يقول: «مخلوق». فالله غير مخلوق؛ لأنه ﷻ لم يُخلق بل هو الخالق وهو أيضاً غير موجود فهو الواجد.. وكل ما عداه موجود.. سكتنا برهة ثم سألته: أتعرف؟

قل لي مبتسماً: ماذا؟!...

ـ لم أتردد في أن أكتب قصتي هذه للناس، ولكنني ترددت كثيراً أن أنشرها لهم، فجُلّ ما أخشاه أن لا يفهموني وتؤدي إلى عكس ما أبغيه...

أومأ برأسه موافقاً ثم قال: نعم، إن أخلصنا النية لله ﷻ فيجب علينا تحري أفضل طريقة مناسبة للناس لنوصل إليهم ما نؤمن به...

قلت له بسرعة: هذا هو ما أردت قوله بالضبط...

قال لي وهو يهم بالانصراف: وفّقك الله وسدد خطاك يا بُني...

قلت له مندهشاً: إلى أين أنت ذاهب؟!...

قال لي في حنان ملائكي: لأواصل مهامي يا أخي.. فما أنا إلا رقيبٌ عتيد...

نظرت إليه بدهشة أكبر واتسعت عيني وأنا أقول له: ماذا؟! يا إلٰهي! أنت ملكٌ أليس كذلك؟...

ابتسم إليّ وهو يبتعد ثم أشار بيديه ونظر إليّ نظرة أخيرة ثم غاب عن الأنظار تماماً.. وتركني وحدي.. في عزلتي وحدي.. في تأملي وحدي.. في معراجي وحدي....

تسمرت مكاني عدة دقائق مذهولاً.. ثم تذكرت أنني في مكان جديد لا آلفه.. فتلفت حولي مشدوهاً.. متأملاً رحاب الرضوان وعرجت روحي إلى سماء الجنان هناك.. حيث لا إنس ولا جان.. إلا ملكٌ عالٍ أو مخلوقٌ دان.. هناك.. حيث

لا شيء فان.. وحيث عرش الدنيا هان.. ذبت في صلاتي ذوبان.. وعرجت روحي في نعيم ما بعده نعمان.. وقلت في نفسي: يا ليت قومي يعلمون.. بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين...

obeikandl.com